الجزء الثاني

د. موسى أبو مرزوق

في العُمق

قِراءَةٌ في الفِكرِ الحَركيِّ والسِّياسيِّ

إعداد: د. بلال خليل ياسين

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

المقدمة والتقديم

المقدمة

في صيف 2018، التقيتُ الدكتور موسى أبو مرزوق لأول مرة بشكل خاص، كان لقاءً بسيطاً، يملؤه الدفء، وتسوده المحبة، كنتُ كالجميع أُشاهد الدكتور أبو مرزوق من خلال تصريحاته المسؤولة عن حركة حماس، وتحركاته القيادية في المشروع الوطني الفلسطيني، لكن بعد أنْ عرض عليَّ الدكتور أحمد يوسف فكرة الكتابة عن الدكتور موسى أبو مرزوق، أصحبتُ أكثر اهتماماً بمعرفة هذه الشخصية وسبر أغوارها: طبيعته، وسيرته، وأخلاقه، وأهم المحطات التي صنعها، والمواقف التي كان شاهداً عليها. وعليه بدأتُ ألتقي الشخصيات التي عايشته عن قرب، فسمعتُ عن كرمه، وإدارة وقته، وأهم محطات حياته، وقد سعدتُ كثيراً بعلاقته المميزة بالشيخ الشهيد أحمد ياسين رحمه الله، لا سيّما وأني قد شاركتُ عدداً من أساتذة التاريخ في كتابة موسوعة الأعمال الكاملة عن حياة الشيخ أحمد ياسين وجهاده.

الساعة الثامنة صباحاً في فندق المشتل بغزة، كان لقائي الأول بالدكتور موسى أبو مرزوق، برفقة الدكتور أحمد يوسف، وصلنا قبل الموعد بخمس دقائق تقريباً، وبعد أن تفاجأتُ أنه غير موجود في الفندق، سُعدتُ كثيراً عندما عرفتُ أنه انطلق بعد صلاة الفجر لزيارة قبر الشهيد عماد العلمي، لقد كانت لفتةً كريمة في أخلاقيات الوفاء، ودرساً واضحاً في الهمَّة والنشاط.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 2018 استضافني الدكتور أبو مرزوق مشكوراً في بيته بالقاهرة في منطقة التجمع الخامس لعشرة أيام تقريباً، حيث كنتُ أقتنص من بين اجتماعاته ساعات بعد منتصف الليل، وأخرى بعد صلاة الفجر، لألقي عليه بعضاً من الأسئلة المرتبطة بمحاور الكتاب وموضوعاته، كان ودوداً في معاملته، لطيفاً في تقبل النقد، كريماً في ابتسامته وضيافته.

في آذار/ مارس 2019، كانت المرحلة الأكثر تعرفاً على شخصية الدكتور أبو مرزوق، حيث قابلته في الدوحة لساعات طويلة وأيام ممتدة، إذ كنتُ قريباً

من مكتبه، أُشاهده في تعاملاته، وأناقشه في آرائه، أربعة أشهر كانت كافية لأرى همته في العمل، وسخاءه في العطاء، وطريقته في إدارة الوقت، وتعامله الحسن مع إخوانه، واستضافته الكريمة لأصدقائه، لقد كانت معايشة ثمينة، إذ أتاحت لي مقابلة العديد من الشخصيات الوازنة في العالم العربي والإسلامي، فقد زرتُ برفقته الشيخ العلامة يوسف القرضاوي، وصافحتُ الأستاذ القدير خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس سابقاً، واستمعتُ للمفكر الفلسطيني منير شفيق، وعانقتُ المفكر السوداني الشيخ عصام البشير، والتقيتُ بالعديد من سياسي دول أوروبا ومفكريها.

ولأنَّ الأستاذ شاكر الجوهري قد غطى بقلمه الجميل سيرة الدكتور أبو مرزوق من الميلاد حتى سنة 1997، فقد انصبَّ اهتمامي في تتبع سيرته السياسية والفكرية منذ سنة 1997 وحتى سنة 2017، وعليه فقد قسمتُ الكتاب إلى أربعة فصول وخاتمة، وجعلتُ التسلسل الزمني معياراً لتناول الأحداث وتتابعها، ووقفتُ على آراء الدكتور أبو مرزوق في كل مرحلة من مراحل عمله الدؤوب. بالتأكيد؛ تداخلت أغلب أرائه مع مواقف حركته، غير أنَّه تميّز ببعض الآراء المختلفة عما ذهبت إليه الحركة، فقد دعا إلى ضرورة تجديد ميثاق حركة حماس في بداية التسعينيات، وكان من الداعين إلى أهمية التوازن في الخطاب السياسي والعلاقة مع الدول العربية والإسلامية، وكذلك بضرورة الانفتاح على الغرب لكسب المواقف الإيجابية، وكان يؤيد مشاركة حركته في الانتخابات التشريعية سنة 1996، وغيرها من المواقف التي ستظهر للقارئ بين دفتي الكتاب.

وقد قمتُ بتسجيل شهادة الدكتور أبو مرزوق بعد خروجه من سجن نيويورك، وسلطتُ الضوء على أهم مبادراته العملية في المشروع الوطني الفلسطيني، ووقفتُ على المعايير الناظمة لعلاقة حركته مع الاتجاهات المحلية والإقليمية والدولية، وأخذتُ شهادته في ملف المصالحة الفلسطينية، وسجلتُ أسرار وخفايا المفاوضات غير المباشرة في أثناء عدوان 2014، وجمعتُ مراجعاته لمواقف حركتي فتح وحماس، وتطرقتُ لعلاقته بالشهيد الراحل ياسر عرفات "أبو عمار"، والشيخ الشهيد أحمد ياسين، وذكرتُ انطباعاته عن عدد من الرؤساء والوزراء العرب.

ولأنَّها جزءاً مهماً من سيرة الدكتور موسى أبو مرزوق، فقد حرصتُ أنْ أنقل شهادته على لسانه قدر المستطاع، وأتحقق مما ورد عنه في الكتب والإعلام، حتى يبقى الكتاب وثيقة جادة لأول رئيس مكتب سياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

أخيراً، أتقدم بجزيل الشكر للدكتور أحمد يوسف صاحب فكرة الكتاب، وللدكتور موسى أبو مرزوق صاحب هذه السيرة، والدكتور محسن محمد صالح رئيس مركز الزيتونة على جهودهم في تنسيق الكتاب وطباعته، ولكل من أسهم في إخراجه، وأسألُ الله تعالى أن ينفعني وإياكم به.

د. بلال خليل ياسين
إسطنبول – تركيا
2020/5/28

تقديم (1)

بقلم أ. د. عزيز دويك

كثيرة هي الكتب التي يقرأها المرء في حياته بكثرة ما كتب عن القضية الفلسطينية، فلا يرى بأساً أن يحذف بعضها دون أن يخل بموضوعها، وعلى النقيض من ذلك جاء كتاب "في العمق" وموضوعه "الفكر الحركي والسلوك السياسي" عند الدكتور موسى أبو مرزوق متميزاً بحاجة القارئ الحريص على الحقيقة، يستوي في ذلك من كان مع فكر "أبو مرزوق" أو مخالفاً له، فإنه بحاجة إلى معرفة كل فقرة من فقراته وكل فكرة من أفكاره.

وبالرغم من تركيز الكتاب على الفكر الاستراتيجي للدكتور موسى أبو مرزوق، فقد تتبع المؤلف مراحل ومنعطفات تطور القضية منذ ما قبل النكبة وخلالها، وأحداث كل عقد مرت به حتى تأسيس حركة حماس سنة 1987، مروراً بانتفاضات شعبنا وحروب الاحتلال ضده ومجازره في فلسطين وغيرها، واغتيال القادة وإبعادهم واعتدائه على البشر والحجر والشجر والمقدسات، وقد أجاد الباحث وأفاد في مناقشة تفاصيل ودقائق كل مرحلة، والدور الذي لعبه أبو مرزوق، وما يزال، في مسيرة جهاد شعب فلسطين ونضاله من أجل استعادة الأرض والحقوق المسلوبة.

ولقد أبرز منطلقات وقواعد رسخها صاحب السيرة، وعلى رأسها قاعدة الشورى في اتخاذ القرار التي تميزت بها حركة حماس فانفردت بها عن غيرها، بحيث تبدأ صناعة القرار من قواعد الحركة grass–roots participation، وتنتهي برأس الهرم السياسي bottom–up، مروراً بمؤسسات الحركة وجسمها التنظيمي، وينتظم ذلك كله مع مراعاة التباعد الجغرافي أو الحالة التنظيمية لهذه القواعد في السجن أو خارجه في الضفة أو القطاع أو الداخل أو الشتات. ومن هنا، كان تبدل القيادة في رأس الهرم على العكس من انتظار الأقدار كما هو الحال عند فصائل أخرى على الساحة الفلسطينية.

وقد أحسن المدوّن وهو يناقش مسيرة جهاد أبو مرزوق وفكره الاستراتيجي من خلال قراءة دقيقة لطبيعة كل مرحلة وتعقيداتها وبيئتها وشخوصها وشهودها وأدواتها والإمكانيات المتاحة فيه، فشخّص الداء ووصف الدواء ممارسة ومغالبة، إيماناً بسنة المدافعة وبأشكال المقاومة وفي القلب منها الخشنة المسلحة "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل"، وبالمثل فلم تجاف الحكمة أبو مرزوق من خلال الاقتناع بأنه لا يجوز أن يوضع القلم مكان السيف، أو أن يهمل أيّ منهما حيث تقتضي الضرورة، وتقف تجارب الأمم والشعوب نبراساً على الطريق ودليلاً عليه.

ويذكر أن المؤلف قد اقتبس من لقاءات أبو مرزوق ومقابلاته معالم الفكر الاستراتيجي عنده عبر مراحل نشأة حماس—أيقونة الجهاد في فلسطين—منذ مولدها ونشأتها ثم نموها وإلى ما وصلت إليه من نضج وهي "تتعاظم"، كما وصفها الشهيد المؤسس الشيخ أحمد ياسين رحمه الله.

ولقد أظهر المؤلف معالم الفكر الاستراتيجي للدكتور أبو مرزوق، وقد أجاد المؤلف الدكتور بلال خليل ياسين بإبرازه حشداً نافعاً من الحقائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية شعباً وأرضاً ومقدسات عبر مراحل تطور هذه القضية بتفاصيلها وقياداتها وتضحياتها الجسام؛ حيث عمل أبو مرزوق من خلال موقعه كأول رئيس للمكتب السياسي لحماس ضدّ كل العقبات والعراقيل التي لم يعرفها تاريخ بني الإنسان، وكما في الإنجليزية"Against all odds in the history of mankind" وذلك منذ النكبة حيث تواصل جهاد شعب فلسطين متمسكاً بكامل تراب وطنه من بحره إلى نهره، وفي القلب منه مدينة بيت المقدس "القدس"، وذلك بهدف استعادة جغرافيا وتاريخ هذا الوطن المسلوب المنكوب.

ولقد تجلى في صفحات الكتاب المشرقة ملامح أساسية لصاحب السيرة التي يمكن أن نستنتج منها مجموعة من القناعات نستشعرها من خلال إيمانه بأن حماس فلسطينية المولد والنشأة، عربية إسلامية في عمقها، مقاومة في منهجها وأسلوبها، وقد حددت أهدافها في السعي الجاد الدؤوب لتحقيق آمال شعبنا بالعودة والحرية، واستعادة الأرض والهوية والمقدرات عبر مراحل متعددة تمليها ظروف الواقع ومتغيراته، وليس يثنيها عن هدف التحرير والعودة كثرة الصعاب

والعراقيل، وعظم التضحيات وجسامتها، في ظلّ اختلال موازين القوى لصالح العدو المغتصب وآلته العسكرية الضخمة المدعومة دولياً، وما يصاحب ذلك من انحراف بوصلة البعض على المستويين الوطني والإقليمي.

ولعلنا نستشف أهم الملامح التي تحدد معالم الفهم الاستراتيجي عند أبو مرزوق بما يلي:

- رؤيته السياسية المنبثقة من تعاليم الشريعة الإسلامية الغراء، ومنهجها الوسطي المعتدل، بلا تشنج ولا مغالاة، مهما عظمت التضحيات وكثر الأعداء.
- القناعة الثابتة بضرورة الاعتماد، بعد الله تعالى، على عمقنا العربي والإسلامي، دون إغفال البعد الإنساني والدولي، ودون إهمال القرارات والاتفاقيات والمواثيق الدولية التي تمثل واقعاً من الخطأ تجاهله، والخطأ الأكبر هو الخضوع لإملاءاته، فليست العبرة بحق القوة وإنما بقوة الحق.
- اليقين بحِل الهدف وشرعية الوسائل الموصلة إليه، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ﴾.
- حضور الإحساس بالمسؤولية "فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، ومن هذا الحضور ينبثق الحرص على الفرد والجماعة، وعلى الجندي والقائد سواء أكان هؤلاء يعيشون على أرض الوطن أو في الشتات، وبالمثل الحرص على العلاقات مع الدول والفصائل والحكومات على المستويات الثلاث الوطني والإقليمي والدولي.
- العمل الجاد والدؤوب على استيعاب العاملين للقضية والصبر عليهم ومحاولة الالتقاء معهم حول القاسم المشترك الأعظم (فلسطين قضية أمة وشعب وحق مغتصب من عدو لا يرحم) وذلك على قاعدة (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه).
- الإيمان الكامل بأن قضية فلسطين وفي القلب منها المقدسات الإسلامية والمسيحية قضية جامعة للأمة وقياداتها، فمهما تباعدت الآراء وتباينت المواقف فالانحياز دائماً هو لموقف الشعوب وإن جنحت القيادات.
- الإيمان الراسخ بحق اللاجئ والنازح والمبعد والمهجر في العودة إلى أرض الوطن، ودحض الالتفاف أو التحايل على هذا الحق من أي كان.

- القناعة بوسائل الديموقراطية وصندوق الانتخاب من أجل قيام حياة سياسية أساسها التبادل السلمي للسلطة، وحق شعبنا في اختيار ممثليه وقادته.
- الحرص على علاقات متميزة مع البعد الوطني والبعد الإقليمي واستثمار عناصر القوة فيه والصبر على لأوائه، وذلك من خلال واقعية سياسية تؤمن أن القوى المتدافعة في كل قطر "من القوة بحيث يصعب إزاحتها، ومن الضعف بحيث يصعب عليها احتواء الآخرين".
- إن الهمّ الفلسطيني من الثقل والضخامة بحيث يصعب على كل فصيل فلسطيني حمله منفرداً، ولا بدّ من الاصطلاح مع الذات وتكاتف الجهود من أجل استواءه على كواهل الجميع، ومن هنا، ولاعتبارات ذاتية وموضوعية أخرى، رأى أبو مرزوق المصالحة الفلسطينية هدفاً استراتيجياً لا مندوحة عنه.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وحصر المقاومة في الساحة الفلسطينية دون غيرها، والعض على الأصابع صبراً واحتمالاً بالرغم من دواعي الاستفزاز والجرأة على الدماء عند الآخرين، ورحم الله القائد الرنتيسي عندما استشهد بقوله تعالى ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ ﴾.
- رفض أوسلو ومخرجاته بسبب الرفض الشعبي له من جهة، ولأنه يعلي شأن أمن المحتل الغاصب ويغفل بالكلية أي اعتبار لأمن فلسطين أرضاً وشعباً وقضية.
- الأخذ بالعزيمة بالرغم من دعوات التيسير في الشريعة، ولا أدل على ذلك من ديمومة رفض الاعتراف بالاحتلال الصهيوني من جهة وشروط الرباعية الدولية من جهة أخرى.
- قداسة قضية الأسرى والمعتقلين وواجب العمل على إطلاق سراحهم بكل الوسائل والسبل الممكنة، لما لهم من حقّ على فلسطين وقيادتها ومقاوميها.
- الإيمان بأن صراع شعبنا هو مع المحتل الصهيوني الغاصب، ولا علاقة لذلك باليهودية كدين نعترف به ونوقر أنبياءه ونؤمن بما جاؤوا به.
- الأخذ بشمولية مبادرات المصالحة، وتجنب الانتقائية التي ينتهجها البعض تهرباً من استحقاقات وطنية تحت ذريعة ضغط الواقع، أو الالتزامات المسبقة مع العدو أو غيرها من الذرائع.

• القناعة بأن البوصلة التي لا تشير إلى فلسطين، وفي القلب منها القدس، هي بوصلة مشبوهة، وأن قواعد الاشتباك يجب أن توجه دائماً نحو عدو الأمة والحضارة والأرض والإنسان.

إن مرونة الحركة والموقف والممارسة، دون التنازل عن الثوابت وحقوق الشعب المكلوم المظلوم، ميزت الفكر الاستراتيجي الحركي عند صاحب السيرة ولم يثنِ عزيمته تنكب من تعب من النضال أو انداح عن الأهداف، وبذلك بقيت حماس، وحولها كوكبة من فصائل المقاومة، تتبنى استراتيجية ثابتة ترتكز على قيم شعبنا وموروثنا الحضاري والتاريخي، غير عابئة بإفرازات أوسلو وشخوصها.

وأخيراً، تميز الكتاب بجزالة أسلوب مؤلفه، ولغته التي لا تتلعثم في الحديث عن منعطفات تطور القضية، فسبر أغوارها وأحسن وأجاد في إبراز سيرة أبو مرزوق وفكره الاستراتيجي ومنطلقاته العقدية والفكرية ومعالم شخصيته. هذه الشخصية التي تميزت بالهدوء والوقار في جانب وبالحزم والصدق والعطاء في جانب آخر. كما أنه لم يغفل إنسانيته في حياته الخاصة والعامة، وحرصه الكبير على مصلحة وطنه ودعوته وأبناء شعبه وأمته.

إن هذه المدونة، وقد ضمتها دفتي هذا الكتاب المفصَّل، لتستأهل أن يُقبل عليها الدارسون بتأنٍ وتؤدة، واعتبار يوازي جهد صاحب السيرة ومصداقيته وعبق دماء الشهداء والجرحى ومعاناة الأسرى في السجون والزنازين وأقبية العزل والتحقيق. ولا أغالي إن أكدت أن هذه الدراسة يمكن أن تكون قاعدة انطلاق جديدة تستلهم عِبَرَ الماضي، وتعايش الواقع، وتستشرف آفاق المستقبل لعمل إسلامي جاد من أجل تحرير المسرى والأسرى، ومن أجل حرية الإنسان واستعادة الأوطان.

والله الموفق لكل خير

والحمد لله رب العالمين

أ. د. عزيز دويك

رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني

تقديم (2)

بقلم أ. د. محسن محمد صالح

للمذكرات قيمة علمية كبيرة في الدراسات التاريخية والسياسية، وهي عادة ما تغطي جوانب مهمة لا تغطيها المصادر والمراجع المعتادة. فهي تسلط الضوء على خلفيات المواقف السياسية والقرارات، وتوفر معلومات مهمة لفهم بيئة الحدث، وتكشف طبائع الأشخاص، وتأثير العلاقات الإنسانية في حركة التاريخ، وتُفسر الكثير من المواقف الرسمية، وما يحدث خلف الكواليس.

لقد سعدت كثيراً بالاطلاع على المجلد الثاني من مذكرات الدكتور موسى أبو مرزوق، أول رئيس للمكتب السياسي لحركة حماس، وأحد أبرز مؤسسيها، وأحد أبرز قياداتيها منذ نشأتها وحتى كتابة هذه السطور في أواخر 2020. ولذلك، تكتسب هذه المذكرات أهميتها من طبيعة الموقع المتقدم والحساس الذي شغله الدكتور موسى، ومن اطلاعه على كافة التفاصيل المتعلقة بالحركة وصناعة قرارها وعلاقاتها، ومن توليه لعدد من المسؤوليات القيادية الرئيسية على مدى الـ 33 عاماً الماضية. وبالتالي، فإن هذا النوع من المذكرات يشكل إضافة نوعية ليس فقط لتجربة حركة حماس، وإنما لتاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، لما تتضمنه المذكرات من تفصيلات حول الأوضاع الداخلية الفلسطينية، والصراع مع العدو الصهيوني، والعلاقات والمواقف العربية والإسلامية والدولية.

تكشف هذه المذكرات الكثير من المعلومات حول تطور الفكر السياسي لحركة حماس، وكيف جمعت بين صلابة المحافظة على الثوابت ومرونة العلاقات السياسية، وتُبرز انفتاحها على القوى المختلفة، وتحشيدها الدعم لقضية فلسطين. وتُظهر الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل لحماس، وكيف تمكنت حماس من التركيز على الدائرة الوطنية الفلسطينية، مع التعامل المتَّزن مع الدوائر العربية والإسلامية والدولية. كما تبرز الدينامية العالية التي تمتعت بها الحركة، مع وجود بنية شورية مؤسسية تحمي الحركة وتوجهها. وكلها مواصفات كان للدكتور موسى دور أصيل في تكريسها وإنجاحها وتنزيلها على الأرض.

في هذا الجزء من المذكرات الكثير عن العلاقات الفصائلية الفلسطينية وخصوصاً مع حركة فتح، وما يتعلق بإدارة المشروع الوطني الفلسطيني، ومقاربة حماس له خلال نحو عشرين عاماً. ويتعرض لمشاركة حماس في انتخابات السلطة الفلسطينية سنة 2006، وتشكيلها للحكومة، وتطورات الانقسام الفلسطيني، وجهود المصالحة. ويقدم أبو مرزوق مادة غنية حول علاقات حركة حماس بالدول العربية والإسلامية كمصر، والسعودية، وسورية، والجزائر، وماليزيا، وتركيا، وإيران؛ حول علاقاتها ومواقفها الدولية تجاه الولايات المتحدة، وروسيا، والاتحاد الأوروبي، وجنوب إفريقيا، وغيرها.

هذه المذكرات تمثل إضافة نوعية مهمة إلى جانب المذكرات التي صدرت عن عدد من رجالات حماس أمثال إبراهيم غوشة، وعدنان مسودي، ومحمد أبو طير. غير أن الموقع القيادي لأبو مرزوق وتغطية المعلومات للفترة حتى سنة 2018 يعطي لهذه المذكرات مكانة خاصة. والمأمول أن يحفّز ذلك قيادات أخرى من حماس لكتابة مذكراتها لاستكمال بناء صورة موضوعية حول حماس وفكرها السياسي ودورها في تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر. كما نرجو أن تتسع "ثقافة" كتابة المذكرات وسط الفصائل والرموز الفلسطينية بما يغني التاريخ والتجربة الفلسطينية.

أشكر للدكتور موسى أبو مرزوق تكليفي بكتابة تقديم لهذا الجزء من مذكراته، وأشكر ثقته بمركز الزيتونة الذي أحب أن يتولى إصدار هذا الكتاب.

وقد سعدت بالقيام بمراجعة النص وتحريره، قبل إرساله للطباعة، بالتعاون مع الباحثة القديرة إقبال عميش، والتي بذلت جهداً كبيراً في هذا العمل، فلها جزيل الشكر.

والشكر الجزيل موصول للدكتور بلال ياسين على جهده الكبير في إعداد مادة المذكرات وتبويبها وتجهيزها للنشر؛ وعلى تعاونه المميز مع مركز الزيتونة في إعداد الكتاب للطباعة.

والله ولي التوفيق

أ. د. محسن محمد صالح

المدير العام لمركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تقديم (3)

بقلم: أ. معن بشور

لم تمنعني انشغالاتي مع إخواني في مواجهة البلاء والوباء الذي يعمّ لبنان والأمة والعالم، من أن ألبي طلب أخي وصديقي الدكتور موسى أبو مرزوق (أبو عمر)، القيادي المؤسس في حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، بكتابة تقديم لكتاب الدكتور بلال ياسين "في العمق" حول المسيرة الجهادية والسياسية للدكتور موسى أبو مرزوق.

وجاءت تلبيتي لطلب أبي عمر مستندة إلى أسباب أربعة:

أولها: علاقة صداقة حميمة جمعتني به منذ أن أطلق سراحه من سجون الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1997، وكان مشاركاً فاعلاً في العديد من الأطر والمؤسسات والملتقيات العربية والدولية، التي انعقدت على قاعدة الانتصار للحق الفلسطيني والمقاومة، وأبرزها مؤسسة القدس الدولية التي كان أبو مرزوق أول رئيس لمجلس إدارتها، والتي كان هدفها دعم صمود أبناء القدس، كمشاركة من المؤتمر القومي – الإسلامي في دعم انتفاضة الأقصى.

في التحضير لإطلاق المؤسسة، كما في التحضير للعديد من الملتقيات والمنتديات الدولية التي عقدناها تحت عنوان الانتصار للعدالة لفلسطين، والتي انعقدت في إسطنبول 2007، ودمشق 2008، والقنيطرة السورية المحررة 2009، وبيروت 2010، والجزائر 2010، كما في العديد من الندوات واللقاءات، كنت ألمس من الدكتور أبو مرزوق سعة أفق، ورحابة صدر، ورغبة صادقة في التعاون والتفاعل والتواصل والتكامل مع الشركاء في هذه المبادرات، وكانوا ينتمون إلى مشارب فكرية وسياسية متعددة.

ثانيها: أن الأخ أبو عمر هو قيادي مؤسس، شغل موقع أول رئيس مكتب سياسي في حركة حماس، التي تشكّل بدورها جزءاً مهماً وفاعلاً من النسيج

الوطني الفلسطيني، ورافداً رئيسياً في نهر المقاومة الفلسطينية المتدفق، وطرفاً أساسياً ومؤثراً وحاسماً في المواجهات والحروب التي شنها العدو الصهيوني ضدّ قطاع غزة، كما في العمليات الفدائية والاستشهادية التي شهدتها الأراضي الفلسطينية المحتلة، مما جعل من المقاومة الفلسطينية عموماً، ومن حماس خصوصاً، رقماً صعباً في معادلة الصراع مع الاحتلال.

ثالثها: أن علاقتي بالقيادي الحمساوي الدكتور أبو مرزوق كانت تتعمق كلما كنت ألمس منه رغبة شديدة في الحوار واستعداداً للمراجعة في كل التباينات والخلافات بيننا حول قضايا باتت معروفة ونشأت بعد سنة 2011، وفي ظلّ الحراك الشعبي الذي عرفته عدة أقطار عربية في المنطقة، لا سيّما في نسخته الدموية الأقسى في سورية ومصر، وكان يردد أمامي دائماً "إن من يحمل قضية كبيرة كقضية فلسطين تصغر أمامه كل الحسابات والاعتبارات الأخرى".

رابعها: اعتقادي أنه من خلال الإضاءة من موقعي كقومي عربي على التجربة الجهادية والسياسية لحركة ذات فكر وبعد إسلامي، كحركة حماس، إنما أُسهم في تعزيز التواصل والتفاعل في تيارات الأمة على قاعدة المقاومة ضدّ العدو الرئيسي لهذه الأمة، وهو العدو الصهيو–استعماري، انطلاقاً من قناعتي أننا في فلسطين، كما على مستوى الأمة، ما زلنا نعيش مرحلة تحرر وطني وقومي تتطلب تفاعلاً بين قوى الأمة كلها، من مختلف التيارات والمشارب المؤمنة بأولوية مواجهة المشروع الصهيو–استعماري وأدواته في المنطقة، وهو تفاعل حاولنا مع الدكتور موسى وإخوانه أن نترجمه عبر المؤتمر القومي – الإسلامي، كما عبر المؤتمر القومي العربي، اللذين ما زالا يجمعان العديد من قوى المقاومة والتحرر والنهوض في الأمة الملتزمة بالمشروع النهضوي العربي.

لقد دفعتني هذه الأسباب الأربعة، كما غيرها، أن أقبل دون تردد الإسهام في تقديم كتاب "في العمق" للدكتور بلال ياسين، لكن ما زادني حماساً هو الأسلوب الموضوعي الأنيق، والصياغات اللبقة التي عرض من خلالها الكاتب لتجربة القائد الجهادي موسى أبو مرزوق، من خلال مواكبة مذكرات الرجل نفسه الغنية بالمعلومات والذكريات والأفكار والرؤى بدرجة عالية من الدقة والمهنية.

فالكتاب ليس مجرد عرض لمذكرات قائد في حركة لعبت، وما تزال، دوراً مهماً في حياة فلسطين والأمة، وإن كانت المذكرات نفسها تحمل في طياتها الكثير من المعاني والدلالات التي تشع من خلال سيرة الرجل والأحداث التي مرّ بها، بل هو عرض لرؤية، وتقييم لتجربة تجعله أقرب لأن يكون مشروع برنامج لحركته، بل لحركة النضال الفلسطيني برمته مما جعل من مذكرات أبو مرزوق تكتسب قيمة مضافة على ما نعرفه من مذكرات.

فحسب كتاب "في العمق" نلاحظ أن مذكرات الدكتور موسى أبو مرزوق ليست مجرد استعادة للماضي على أهميته، بل يمكن أيضاً اعتباره دليلاً ومدرسة نتعلم من عبرها الكثير لمواجهة تحديات الحاضر ونستشرف آفاق المستقبل... مما لا يجعل تلك المذكرات تندرج في إطار تلك الكتب التي تدون أحداثاً وتترك للقارئ أن يستخرج منها الدروس والعبر.

ومن الواضح أن صاحب كتاب "في العمق"، كما صاحب المذكرات نفسه، قد حرصا أن يقدما كتابيهما بدرجة عالية من التشويق، فكان لكل فصل من الكتاب أو لكل موضوع من موضوعاته، نبذة تاريخية تتلوها الملاحظات والأفكار، فلا يقع القارئ في رتابة التحليلات النظرية والأحداث، ولا يغرق بسطحية سرد الروايات دون عمق التحليل.

ولعل اختيار الكاتب الدكتور بلال ياسين لكتابه عنوان "في العمق"، هو تعبير عن رغبة المؤلف أن يغوص في عمق الأحداث والقضايا وبلسان أبو مرزوق نفسه، لكي يكون الكتاب أكثر من تأريخ لماضٍ سبق، بل قراءة لواقع معاش، واستشراف لمستقبل قادم.

وبهذا المعنى تحتار بين مؤلف الكتاب وكاتب المذكرات، حيث التداخل واضح بينهما، وحيث المنهج واحد، وهو المنهج الرصين الهادئ الذي يدرك كم تحتاج القضية الفلسطينية التي نذر الدكتور موسى أبو مرزوق وإخوانه حياتهم في سبيلها إلى رصانة في الخطاب، وعمق في التحليل، وجرأة في المواقف، وترفّع في الحسابات عن الاعتبارات الفئوية الضيقة.

ففي كتاب "في العمق" أو في "المذكرات" نفسها حرص واضح على التحلّي بدرجة عالية من الموضوعية، بل من الإنصاف لأطراف فلسطينية وعربية وإسلامية يفترض أن حركة حماس قد دخلت في خلاف أو صراع معها، ولا يخفي الكاتب، ناهيك بصاحب المذكرات، رغبته في فتح صفحة جديدة في علاقات حركته مع هذه القوى تقوم على إدراك الحاجة إلى رصّ الصفوف لمواجهة التحديات والمخاطر، كما على احترام متبادل لكل مكونات هذا المحور المقاوم.

والأمر نفسه ينطبق في حديث الدكتور موسى أبو مرزوق، كما ورد في كتابه عن رؤيته للعلاقات مع دول عربية وإقليمية وعالمية، حيث تتحكم فيها الرغبة في الحوار والانفتاح على قاعدة "نصادق من يصادقنا ونتريث في إعلان العداء لمن يعادينا"، وأنه على الرغم من الحرص على كسب صداقة الكثير من الحكومات والشعوب، لكن أبو مرزوق حريص على أن يؤكد على قاعدة الالتزام بالثوابت الوطنية التي لا يمكن لحركة عقائدية كحماس، أو كشعب أمضى أكثر من قرن كامل في المقاومة أن يتنازل عنها.

وحين يأتي الأمر إلى الطبيعة العقائدية لحماس كحركة إسلامية، بل كتنظيم مرتبط بالحركة العالمية للإخوان المسلمين، لا يراوغ الدكتور موسى أبو مرزوق في الأمر، لكنه يؤكد أيضاً على منهجية في العمل ولغة في الخطاب، تركز على حقيقة أن حماس، هي في الوقت نفسه، جزء من حركة المقاومة الفلسطينية، وهي حقيقة تحرص حركة حماس أن تراعيها أيضاً في رؤاها وبرامجها وعلاقاتها.

بل هناك حرص من أبي مرزوق على التمييز بين الإسلام الوسطي الذي تنتمي إليه حماس، وبين الإسلام المتطرف والمتوحش الذي انزلقت إليه بعض الأطراف والجهات، بل هناك حرص على التأكيد على ضرورة اللقاء مع قوى وتيارات فكرية غير إسلامية، إذا كان هذا اللقاء يخدم قضية فلسطين والنضال من أجل تحريرها، على عكس لغة الإقصاء والاجتثاث والتكفير التي اعتمدها البعض في نظرته للآخر في مجتمعه وبلاده.

من الصعب جداً أن أقدم بصفحات قليلة، كتاباً ثميناً يضم أكثر من 500 صفحة، ولكن من السهولة بمكان أن يدرك القارئ أن المجاهد الكبير موسى أبو مرزوق لم يكن يكتب مذكرات عن سيرته، بل كان يكتب رؤيته لمستقبل هذه القضية المهمة في حياة شعبه وأمته.

سنة 2003، وبعد احتلال العراق بثلاثة أشهر، وخلال انعقاد الدورة الـ 23 للمؤتمر القومي العربي في صنعاء، التي اختارتني أميناً عاماً لمؤتمر يحرص على تداول المسؤولية فيه، رفعت شعاراً للمرحلة بعنوان "ميمات الخلاص" وهي المقاومة، المراجعة، المصالحة، والمشاركة.

وما زلت اعتقد أن هذا الشعار ما زال صالحاً حتى اليوم، فمن كان شجاعاً في المقاومة، قادر أن يكون شجاعاً في المراجعة، والمصالحة، والمشاركة.

وكلنا أمل أن يكون كتابنا اليوم، "في العمق" خطوة باتجاه الالتزام بمعادلة الخلاص هذه.

أ. معن بشور
الأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي
عضو مجلس إدارة مؤسسة القدس الدولية

Dr. Musa Abu Marzuq: In Depth
A Reading in Activism and Political Thought

هذا الكتاب

للمذكرات قيمة علمية كبيرة في الدراسات التاريخية والسياسية، وهي عادة ما تغطي جوانب مهمة لا تغطيها المصادر والمراجع المعتادة. فهي تسلط الضوء على خلفيات المواقف السياسية والقرارات، وتوفر معلومات مهمة لفهم بيئة الحدث، وتكشف طبائع الأشخاص، وتأثير العلاقات الإنسانية في حركة التاريخ، وتُفسر الكثير من المواقف الرسمية، وما يحدث خلف الكواليس. وهو ما يُعبِّر عنه هذا الكتاب بشكل تام.

يتضمن هذا الكتاب مشوار حياة د. موسى أبو مرزوق، أول رئيس للمكتب السياسي لحركة حماس، وأحد أبرز مؤسسيها وقياديها، من حيث الرؤية والمواقف السياسية، والمسيرة النضالية الوطنية بتشعباتها الفلسطينية والعربية والإسلامية والدولية خلال الفترة 1997-2017.

وتُشكِّل هذه المذكرات إضافة نوعية ليس فقط لتجربة حركة حماس، التي جمعت بين صلابة المحافظة على الثوابت ومرونة العلاقات السياسية، وانفتاحها على القوى المختلفة، وفكرها الإسلامي الوسطي المعتدل، وإنما لتاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، لما تتضمنه المذكرات من تفصيلات حول الأوضاع الداخلية الفلسطينية، والصراع مع العدو الصهيوني، والعلاقات والمواقف العربية والإسلامية والدولية.

هذا الكتاب يعرض الجزء الثاني من مذكرات د. أبو مرزوق، والتي كان جزؤها الأول بعنوان "ذكرياتُ اللجوءِ والغُربةِ وسنواتُ النضالِ 1951-1997".

ISBN 978-9953-572-97-0

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net